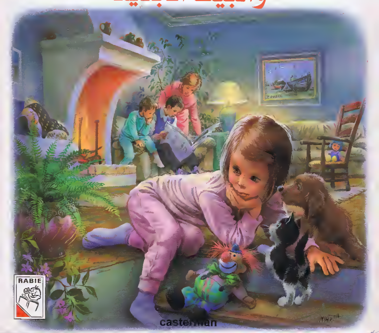
GILBERT DELAHAYE - MARCEL MARLIER

تولين
والبيت الجديد



GILBERT DELAHAYE
MARCEL MARLIER

تولين
والبيت الجديد

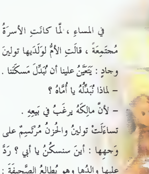
جيلبير دولاهاي
مرسيل مرليه

نقلها إلى العربية
سهيل مقل





casterman



في المساءِ ، لمّا كانَتِ الأسرَةُ مُجتمِعَةً ، قالَتِ الأمُّ لوَلَدَيها تولينَ وجادٍ : يَتَعَيَّنُ علينا أن نُبَدِّلَ مَسكَنَنا .

– لماذا نُبَدِّلُهُ يا أُمّاهُ ؟

– لأنَّ مالِكَهُ يرغَبُ في بَيعِهِ .

تساءَلَتْ تولينُ والحُزنُ مُرتَسِمٌ على وَجهِها : أينَ سنسكُنُ يا أبي ؟ رَدَّ عليها والِدُها وهو يُطالِعُ الصَّحيفَةَ :

– لقد قرأتُ تَوّاً هذا الإعلانَ : شِقَّةٌ فاخِرَةٌ للإيجارِ ، تناسِبُ أُسرَةً مِنْ أربعَةِ أفرادٍ .

قالَتْ تولينُ وفي صَوتِها تَحَسُّـرٌ : هذا يعني أنَّنا لن نلعَبَ بعدَ اليومِ مع إيادٍ في الحديقَةِ ، ولن نُعَمِّرَ كوخاً ، أو نَتَسَلَّقَ شَجَرَةَ الكَرَزِ . قالَ لها أبوها : أنا وأُمُّكِ لم نَدَّخِرْ وُسْعاً في التَّفتيشِ عَنْ مَسْكَنٍ في الجِوارِ ، بيدَ أنَّنا لم نَظفَرْ بما نريدُ ، لذلِكَ لا بَديلَ عَنِ الإقامَةِ في المَدينَةِ ، حيثُ سأكونُ أكثَرَ قُرباً مِنْ مَكانِ عملي . وأضافَتْ أُمُّها :

– سوفَ يسهُلُ عليكُما أيضاً الذَّهابُ إلى المَدرَسَةِ .

جَلَسَتْ تولينُ على الدَّرَجِ ، وقد أسنَدَتْ رأسَها إلى راحَتَيها ، وجَعَلَتْ تُحَدِّثُ نفسَها ، فيما استَبَدَّ بها القَلَقُ على مَصيرِ كَلْبِها وهِرِّها : لَئِنْ حَظَرَ البَوّابُ إيواءَ الحَيَواناتِ ، لَحُتِّمَ علينا الفِراقُ .



قالَ لها طبّوشٌ : أعِدُكِ بأن أكونَ مُنضَبِطاً ، فلَنْ أتراكَضَ على الأدراجِ ، ولن أنبَحَ أبداً في اللَّيلِ . وأضافَ أبو الشَّوارِبِ بدَورِهِ : وأمَّا أنا ، فسوفَ أتصاغَرُ لإخفاءِ نفسي ...

أَعَدَّتْ والِدَةُ تولينَ المائِدَةَ ، وقالَتْ : لقد حانَ وَقتُ العَشاءِ ، إلى الطَّعامِ يا وَلَدَيَّ . لكنَّ تولينَ ما بَرِحَتْ واجِمَةً ، شارِدَةَ الذِّهنِ : انتِقالُنا إلى مَنــزِلٍ جديدٍ يعني أن نُغادِرَ حَيَّنا الَّذي أَلِفناهُ ، وأن نَهجُرَ الجيرانَ وأصدِقاءَ المَدرَسَةِ . قَطَعَ عليها أبوها سِلْسِلَةَ هواجِسِها حينَ قالَ لها : ما بالُكِ لا تَأكُلينَ يا بُنَيَّتي ، فَهلْ أَنتِ مَريضَةٌ ؟



ثُمَّ أَضافَ : أرى أنَّهُ لا داعيَ إلى القَلَقِ . اطمئنّي بالاً يا بُنَيَّتي ، فسوفَ نَحتفِظُ بطَبّوشٍ وأبي الشَّوارِبِ . وأمَّا بالنِّسبَةِ للأَصدقاءِ ، فستُصادِقينَ أطفالاً جُدُداً . غداً ، سنذهَبُ جميعاً لِمُعايَنَةِ الشَّقَّةِ .



حَضَرَ مالِكُ الشَّقَّةِ الجديدةِ في المَوعِدِ المُحَدَّدِ . وفيما انشَغَلَ والدا تولينَ بالتَّحادُثِ مَعَهُ ، خَرَجَ الشَّقيقانِ ومَعَهُما طَبّوشٌ إلى الشُّرفَةِ لإلقاءِ نَظْرَةٍ ، وقالَتْ تولينُ : يا لَهذا العُلُوِّ الشّاهِقِ ! من هُنا يمكِنُنا مُشاهَدَةُ المَدينَةِ كُلِّها . وتساءَلَ طَبّوشٌ : أما أصابَكُما الدُّوارُ مِثلي ؟

– هُنالِكَ ، خَلفَ تِلكَ الهَضْبَةِ يَقَعُ مَنزِلُنا ، نحنُ لا نستَطيعُ رؤيَتَهُ ، فهو شَديدُ البُعدِ . على كُلِّ حالٍ فالشَّقَّةُ قد حازَتْ إعجابي ، وأجمَلُ ما فيها شُرفَتُها ، وهذِهِ الإطلالَةُ المُدهِشَةُ . سوفَ تطيبُ لنا الإقامَةُ في هذا المَنزِلِ .

– أوَدُّ لو يَتَوَصَّلُ أبي إلى اتِّفاقٍ مع صاحِبِ الشَّقَّةِ ، حتّى نستَقِرَّ قريباً في بيتِنا الجَديدِ .



ما إن أعلَنَ والدُ تولينَ أنَّهُ تَسَلَّمَ مَفاتيحَ الشِّقَّةِ من مالِكِها ، حتَّى تَلألأَ وَجهُ تولينَ فَرَحاً ، وقالَتْ : حَبَّذا لو ننتَقِلُ فوراً إلى بَيتِنا الجَديدِ . رَدَّ أبوها : ليسَ فوراً يا بُنَيَّتي ، فالبيتُ يحتاجُ إلى تجديدِ طلائِهِ ، وإكساءِ جُدرانِهِ بالوَرَقِ . وها هو ذا إيادٌ قد حَضَرَ لُمساعَدَةِ صَديقَيهِ ، وأكَبَّ الجميعُ على العَمَلِ . وتساءَلَ طَبّوشٌ : لماذا تَستَخدِمانِ هذهِ المِسْطَرَةَ ؟

– هذا ليسَ بِمِسْطَرَةٍ ، بل مِتراً قابِلاً للطَّيِّ ، نستَخدِمُهُ لقياسِ الجُدرانِ ، حتَّى نتأكَّدَ من إمكانِيَّةِ دُخولِ قِطَعِ الأثاثِ إلى الغرفَةِ .



استَدْعى والِدُ تولينَ عامِلاً ، ليقومَ بوقفِ تَسَرُّبِ المياهِ في الحمَّامِ . وفيما الرَّجُلُ يحاول عابِساً حَلّ صُنبورِ المَغْطِسِ الَّذي استَعصى عليهِ ، تَدانى مِنْهُ طبّوشٌ ، وقالَ لهُ : مَرحباً ، لماذا تَستَخدِمُ هذهِ الأداةَ ؟

– لأفُكَّ بها الصُّنْبُورَ .

– لَئِنْ فَكَكْتَهُ ، لأغضَبْتَ سَيِّدي .

– يا لَكَ مِنْ كَلْبٍ طُفَيلِيٍّ ، فَلْتَغْرُبْ عَنْ وجهي .



ولأنَّ العاملَ قد تَرَكَ بابَ الشُّقّةِ مَفتوحاً ، وَجَدَ طبّوشٌ أنَّ الفُرصَةَ سانِحَةٌ ، وانسلَّ إلى المِصعَدِ ، حيثُ صادَفَ طِفلاً برفقَةِ جَدَّيهِ . قالَ الصَّبيُّ : يا لَهذا الكَلبِ النَّهِمِ ! لا رَيبَ أنَّهُ تائِهٌ . قالَ الجَدُّ : لَعَلَّهُ جائِعٌ . فلتَنتَبِهْ إلى قِشدَتِكَ المُثلَّجةِ يا روني ! .... أمَّا الجَدَّةُ فقالَتْ : سوفَ أُفَتِّشُ داخِلَ حَقيبَتي ، لرُبَّما أعثُرُ فيها على قِطعَةٍ مِنَ السُّكَّرِ .



وما إن تَوَقَّفَ المِصعَدُ ، حتَّى ترامَتْ إلى مَسمَعِ طَبُّوشٍ أصواتُ الموسيقا . فتساءَلَ وهو يُصيخُ السَّمعَ : تُرى من أينَ تصدُرُ هذهِ الأنغامُ ؟ في الدَّورِ الخامِسِ ثَمَّةَ مُوسيقيٌّ يَعزِفُ على النَّاي ، قالَ لطبّوش :

– فلتَدْخُلْ أيُّها الكَلبُ الظَّريفُ ، فأنتَ لا تُزْعِجُني .

وأمَّا البَبَّغاءُ فقالَ لَهُ مُتَهَكِّماً ، وقَدْ انتَصَبَ فوقَ مَجْثَمِهِ : فَلْتَذْهَبْ إلى النَّومِ ! ...



قَصَدَتِ الأسرَةُ ومَعَها إيادٌ مَتجرَ الأدَواتِ الكَهرَبائيَّةِ لابتِياعِ ثُرَيّا لغُرفَةِ الجُلوسِ ، فقالَ إيادٌ : انظُروا إلى هذهِ الثُّرَيّا ، هي جَميلَةٌ جِدّاً ، وكأنَّها كُرَةُ القَدَمِ بِعَينها . أمَّا جادٌ فقالَ : أنا أُفَضِّلُ ذاتَ التيجانِ الّتي تُشْبِهُ الأزهارَ ، ألا تُناسِبُنا ؟ رَدَّ الأبُ قائِلاً : لكنَّ ثَمَنَها مُرتَفِعٌ جِـدّاً . وتَدَخَّلَ صاحِبُ المَتجَرِ ، وهو صَديقٌ للعائِلَـةِ ، فقالَ : سوفَ أُخَفِّضُ سِعرها بسَبَبِ صَدعٍ بسيطٍ ، يكادُ لا يُرى في أحد تيجانِها ..



وبحَذَرٍ شَديدٍ ، عَلَّقَ والِدُ تولينَ الثُّرَيّا في غُرفَةِ الجُلوسِ ، وقالَ لتولينَ : ناوِليني التّاجَ مِنْ فضلِكِ يا بُنَيَّتي ... في غُضونِ ذلكَ قُرِعَ البابُ ، فقالَتْ تولينُ : نحنُ لا ننتظِرُ أحداً ، فمنْ تُراهُ يكونُ ؟ إنَّهُ درّاجٌ شابٌ بلباسِ الرِّياضةِ ، يحمِلُ طبّوشاً بينَ ذِراعَيهِ : أهذا كلبُكُم ؟ لقد ذَهَبْتُ إلى المِرآبِ لأضَعَ درّاجَتي ، فوَجَدْتُهُ هُناكَ . قالَتْ لَهُ تولينُ : لقد تَحَيَّنَ غَفلَتَنا ، وخَرَجَ من الشِّقَّةِ . هو فُضوليٌّ ، وكما تعلَمُ يا سـيّدي ، فالمَكانُ جَديدٌ ، ولا بُدَّ لَهُ من استِكشافِهِ .

لَقَدْ أصْبَحَتِ الشَّقّةُ جاهِزَةً ، وبدأ الاستِعدادُ لانتِقالِ الأُسرَةِ إليها ، وهذا يَتَطَلَّبُ جُهداً وعَمَلاً . وتقولُ والِدَةُ تولينَ مُحتارَةً : تُرى ، مِنْ أينَ أبدأُ ؟ ألا تُساعِدونَني يا أولادُ !



– بِكُلِّ سُرورٍ يا أُمّاهُ ! كيفَ يُمكِنُنا مُساعدَتُكِ ؟

– أفْرِغوا صِوانَ المائدَةِ ، ثمّ غَلِّفوا آنِيَةَ الطَّعامِ بالصُّحُفِ والقَشِّ ، وضَعوها بعدئذٍ في الصَّناديقِ واحزِموها ، إنَّما فلتَتَوَخَّوا الحَذَرَ لكيلا تَتَكَسَّرَ .

قال أبو الشَّوارِبِ لِنفسِهِ ، وقد تَحَفَّزَ للانقِضاضِ عندما رأى قارورَةً على شكلِ طائرٍ : ماذا يفعَلُ هذا الطّائرُ هُنا ؟

وفجأةً سُمِعَ صَوتُ زُجاجٍ يَتَكَسَّرُ ، لقدْ أسقطَ أبو الشَّوارِبِ قارورةَ العِطرِ الَّتي تَحرِصُ عليها والِدةُ تولينَ أشَدَّ الحِرصِ .
وفيما يجري لَمُّ الحُطامِ ، توارى أبو الشَّوارِبِ عَنِ الأنظارِ ، واختبأَ داخِلَ أحَدِ الأدراجِ خَوفاً مِنَ العِقابِ .



وتساءَلَتْ تولينُ بعد أنْ قامت أُمُّها بتفكيكِ السَّتائِرِ : أتعتقِدينَ يا أُمَّاهُ أنَّها تَصلُحُ لِشُقَّتِنا الجَديدَةِ ؟
– لا يا بُنَيَّتي ، فهي قَصيرَةٌ جِدّاً ، وسوفَ أعطيها لخالَتِكِ ، ثمَّ أضافَتْ :

– ألا تجمَعونَ هَذِهِ الصُّوَرَ !
– وأين سَنَضَعُها ؟
– سوفَ تُنَظِّمونَها لاحِقاً ، فالوَقتُ يَتَدارَكُنا .



وعَمَّتْ حالَةٌ مِنَ الفَوضى والاضطِرابِ أرجاءَ المَنزِلِ ، حتَّى باتَ العُثورُ على شيءٍ مِنَ الأشياءِ شِبْهَ مُستحيلٍ .

ويصرُخُ إيادٌ مُستغيثاً : هَلُمِّي لُمساعَدَتِي يا تولينُ ، فاللَّوحَةُ ثَقيلَةٌ جِدّاً .

– فلترفَعْها قليلاً يا إيادُ ، حتَّى أتمَكَّنَ من تَحريرِ الخَيطِ .

ويقولُ جادٌ وقد ضاقَ ذَرعاً بالسَّجّادَةِ : أنَّى لنا أن نَنْقُلَ هذِهِ السَّجّادَةَ ؟

– لئِنْ أوقفناها ، لسَهُلَ علينا تَحريكُها .. فَلْنُحاوِلْ ..

– انتظِرا قليلاً ، رَيثَما يحضُرُ والِدُكُما لمُساعَدَتِكُما .



تَسارَعَتْ نَبَضاتُ قَلْبِ تولينَ ، لأنَّها ستُغادِرُ اليومَ مَدرَسَتَها وأترابَها الَّذين تَرَعْرَعَتْ وَسْطَهُم . تَجَمْهَرَ أَصْدِقاؤها حَوْلَها لِوَداعِها :

– وداعاً يا تولينُ ، أينَ ستَقطُنينَ ؟

– في وَسَطِ المدينةِ ، وثَمَّةَ مَدرَسَةٌ تُجاوِرُ شِقَّتَنا .

– تعالَي لزيارَتِنا .

– سوفَ آتي حَتماً لزيارَتِكُم كُلَّما سَنَحَتْ لي فُرصَةٌ .

وتساءَلَتْ ماشا زَميلَةُ تولينَ الصَّغيرَةُ ، وقد اغرَوْرَقَتْ عَيناها بالدُّموعِ :

– ألنْ أراكِ بعدَ اليومِ ؟

– بلى ، وعَهداً لن أنساكِ أبَداً .

لَمّا حَلَّ يومُ الانتِقالِ إلى الشَّقَّةِ الجَديدَةِ ، بَدا الإرهاقُ جَلِيّاً على والِدَي تولينَ .
وفيما كانَ الأولادُ في حَرَكَةٍ دائبَةٍ ، انهَمَكَ عُمّالُ النَّقلِ بتَحميلِ (البيانو) فوقَ الشاحِنَةِ ، بكُلِّ ما تأتّى لهم مِنَ الحيطَةِ والحَذَرِ . ويقولُ أحَدُ العُمّالِ للأولادِ : لا تَقِفوا تحتَ الشّاحِنَةِ لكيلا تُعَرِّضوا أنفُسَكُم للخَطَرِ .

تقولُ تولينُ لأخيها : يستحيلُ نَقلُ أثاثِ البَيتِ كُلِّهِ دَفعَةً واحِدَةً .

– بلْ يمكنُ نَقلُهُ دَفعَةً واحِدَةً ، أتُراهِنينَ ؟



ما تَوَقَّعَهُ جادٌ حَصَلَ فِعلاً . لقد تَمَّ نَقْلُ الأثاثِ كُلِّهِ دَفعَةً واحِدَةً . وفَورَ وصُولِ الشَّاحِنَةِ أمامَ مَسكَنِ تولينَ الجَديدِ ، شَرَعَ العُمَّالُ بإفراغِ قِطَعِ الأثاثِ بواسِطَةِ الرَّافِعَةِ الَّتي يُمكِنُها الارتِقاءُ إلى أعلى الطَّبَقاتِ في الأبنِيَةِ العالِيَةِ . تَجَمْهَرَ بعضُ الأولادِ حولَ الرَّافعةِ ، وسأَلَ أحدُهُم تولينَ : هلْ ستُقيمينَ في الدَّورِ الرَّابعِ ؟ وما اسْمُكِ ؟

– تولينُ ... وأنتَ ما اسْمُكَ ؟

– روني ... وأقطُنُ في الدَّورِ الخامِسِ . أخي الأكبرُ موسيقيٌّ . وقالَ صَبِيٌّ آخَرُ : وأمَّا أنا فوالدي درَّاجٌ ، وكلبي اسْمُهُ مكسيكو . وقالَتْ تولينُ : كلبي يُدعى طبّوشاً .





" مياو ! .. مياو ! .. "

– كأنّني سَمِعْتُ مُواءَ قِطَّةٍ .

– اصمُتْ ! ... لَعَلَّهُ صَدَرَ عن هذا الصُّوانِ . وتقولُ تولينُ : تَبّاً ، لقد أضَعْتُ مِفْتاحَ الدُّرجِ . وبواسِطَةِ مِفَكِّ البَراغي ، تَمَكَّنَ الأولادُ مِنْ كَشْفِ اللَّوحِ الخَشَبيِّ الّذي يُغَطّي الصُّوانَ . قالَتْ تولينُ مَذهولَةً : أبو الشَّوارِبِ ! ماذا تفعَلُ هُنا ؟ ثُمَّ أضافَتْ : لقدْ لَجأَ المِسْكينُ إلى الدُّرجِ حتَّى ينجُوَ مِنَ العقابِ .

ذهَبتْ تولينُ إلى المدرسةِ الجديدةِ ، وبَعْدَ أنْ قابَلَتِ المديرةَ دَخَلَتْ تولينُ الصَّفَّ ، فشَعَرَتْ للوَهلَةِ الأولى بشيءٍ من الاضْطِرابِ ، لَعَلَّ كَثرَةَ الوجُوهِ قدْ أخجلَتْها .

هي لا تعرفُ أحداً ، وتحتارُ أينَ تجلِسُ ، لكنَّها استَطلَعَتْ أخيراً فَتاةً تَضَعُ نظّارَةً أمامَ عَينَيها ، فسأَلَتْ المُعَلِّمَةَ أن تأذَنَ لها بالجلوسِ إلى جانِبِها .



عَبَّرَتِ المُعَلِّمةُ عن موافَقَتِها بقولِها لتلاميذِها : أرجو أن تصمُتوا . أعَرِّفُكُمُ التِّلميذَةَ الجَديدَةَ تولينَ ، سوفَ تجلِسُ بجوارِ ناتاشا .



وأضافَتِ المُعَلِّمَةُ : أمَّا الآنَ ، فحَبَّذا لو نعودُ إلى العَمَلِ ، وهاكُمْ موضوعَ التَّعبيرِ لهذا النَّهارِ : (تَحَدَّثوا عَنْ أُسْرَةٍ تُبَدِّلُ مَسكَنَها ...) وأوَدُّ أن أُنَوِّهَ خاصةً بألاَّ تَنْقُلَ عَنْ بعضِنا ! تُرى أَمِنْ قَبيلِ المُصادَفَةِ أن تختارَ المُعَلِّمَةُ هذا المَوضوعَ ؟ وعلى الفورِ أكَبَّتْ تولين على العَمَلِ ، فكَتَبَتْ في وَرَقَتِها : (لقدِ انتَقَلنا البارِحَةَ إلى مَنـزِلٍ جديدٍ ، حيثُ سادَتْ حالَةٌ من الاضطِرابِ . كُنتُ سَعيدَةً في الحَيِّ الَّذي أقمنا فيهِ عِدَّةَ سَنَواتٍ . هأنذا على عَتَبَةِ حَياةٍ جَديدَةٍ ، ولا بُدَّ لي أن أصادِقَ أطفـالاً آخرينَ ، وأن أُبَدِّلَ عاداتي . وبرَغمِ اختِلافِ المَكانَينِ ، فأنا أشعُرُ بالارتياحِ في بيتِنا الجَديدِ) .

www.rabie-pub.com
Published by Rabie Publishing House Syrie, Aleppo
P.O Box : 7361 Tel : +963 21 2640151 Fax 2640153
E-mail : rabie@rabie-pub.com
In cooperation with CASTERMAN Belgium
ISBN 2-203-10142-3 ISSN 0750-0580



